ذو القرنين بين القرآني والتاريخي

توطئـــة :

ان دراسة الحوادث القرآنية دراسة تاريخية ، تتطلب شروطا تختلف عن تلك التي تتطلبها سائر الحوادث الزمانية ، وهذا مرجعه الى أن القرآن صادق فيما أورده من لفتات علمية أو تاريخية ·

فدراستنا هنا عن ذي القرنين بين الخبر القرآني والواقع التاريخي ، وان كانت تتصف بالدراسة العلمية ويغلب عليها الطابع التاريخي العلمي لا الطابع التفسيري الديني · الا ان هذا لا يمنع من الرجوع الى التفاسير لأنها هي وحدها التي بحثت هذا الموضوع ، وثمة أخرى ، أن أغلب المؤرخين الذين رجعنا لكتبهم قد كتبوا في التفسير كابن الأثير والطبري بل ان من الدوافع العملية لدراسة التاريخ عندهم توفر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن ، مما دفع بمفسري القرآن الى البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه . وقد أصبح الاهتمام بالمادة التاريخية على مر الزمن احدى فروع المعرفة التي تمت بالارتباط القرآني (١) ·

ـين الخـبر
ـواقع التاريخى

بقلم: عبدالله بن ابراهيم العسكر

وحقيقة أن القرآن يحتوي على معلومات تاريخية أمر لا يحتاج الى برهان · ولكن معلومات القرآن التاريخية تختلف عمـا يدعي اليهود وجـوده في التوراة · والرسول (ص) نفسه لديـه شعور عميق بالتاريخ ، ولكن انصرافه عنـه لا يدل البتة احتقاره لهذا الفرع من الدراسات أو لعدم ايجابيته ·

وأغلب الحقائق التاريخية الموجودة في القرآن جاءت نتيجـة لسؤال وجه الى الرسول (ص) ، من ذلك موضوعنا هـذا · فقد جـاء في كتاب (لباب النقول في أسباب النزول) للسيوطي من أن قريشا بعثت الى أحبـار اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد لعلمهم بالكتب السماوية فنصح اليهود قريشا أن تسأل محمد ثلاثة أشياء : منها سؤاله عن أصحاب الكهف والرجل والطواف (٢) ، ولكن هذا ليس بقاعدة عامة تعمم على كل الحوادث ، وان كان هنالك روايات كثيرة حول هذا الموضوع فليست هي السبب الرئيسي ، ولكن هذه هي حالة المفسرين فانهم يربطون كل آية بقصة ، ويعتقدون انها سبب نزول هذه الآية ولكن المحقق ـ كما يرى ولي الله الدهلوي ـ يرى أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هـي تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة والاعمال الفاسدة من سرد موجز للحوادث (٣) ·

وقد يكون الرسول (ص) قد سمع بعض الاخبار والمعلومات التاريخية لا يبرر افتراض بأن الـرسول (ص) قد قـرأ المصادر التاريخيـة كالتوراة في ترجمتها العربية (٤) ، ولكننا نجزم انه لم يتصرف في الحوادث التاريخية بنفسه ولم يتلقها

من أخبار اليهود أو النصارى كما يزعم بعض المستشرقين ، حقيقة انه من الحمق التهويل في هذا الشأن ، ما دام الرسول (ص) لم يلق أحبار اليهود ولا رهبان النصارى ولم يثبت اتصاله بهم (٥) ·

اذن نخرج من هذا كله ان القصة التاريخية في القرآن جاءت لتؤكد حقيقة فيها عبرة وعظة ، بصرف النظر عن السرد التاريخي · والقرآن كتاب منزل لم يشهد ـ كما حدث للتوراة والانجيل ـ أي تحريف أو تبديل والعلم الحديث يثبت صحته من ذلك انه تكلم عن التغييرات والتحريفات التي اعترت الكتب المقدسة قبله ؛ فقد كشفت منذ ربع قرن نسخة من التوراة وقد تبين أن النصوص الواردة في هذه النسخة مختلفة عن التوراة التي يتداولها اليهود ، كما تبين انها تؤيد القرآن تأييدا تاما حتى أن Albrihgt الذي علق على هذه النسخة قال ما ترجمته الحرفية : « هل آن لنا أن نتخلى عن معتقداتنا بعد هذا الكشف » (٦) · لهذا السبب وغيره كتحذيرات الرسول بشأن أقوال أهل الكتاب وكتبهم لم التمس الحق في أقوالهم أو آرائهم التي تملأ اغلب الكتب العربية الاسلامية ·

أما عن موقف القرآن من التاريخ عامة ، فان القرآن تميز برواية الاحداث البعيدة ، والتي يعتبر التاريخ معها حديث عهد · والتاريخ ـ كذلك ـ وان وعى بعض هذه الاحداث ، فهو من أعمال البشر القاصرة يصيبه ما يصيب جميع أعمال البشر من القصور والخطأ والتحريف ، ونحن نشهد في زماننا هذا الذي تيسرت فيه أسباب الاتصال ووسائل الفحص ان الخبر الواحد يروى على أوجه شتى ، وينظر اليه من زوايا مختلفة ويفسر تفسيرات مختلفة ·

شخصية ذي القرنين

ان كتب التفاسير والتراجم والتاريخ تعطي أسماء كثيرة متباينة ومتناقضة في نفس الوقت عن اسم ذي القرنين ولقبه · وهنا سوف أقوم بسرد ما ورد في هذه الكتب ثم نحلل أهم هذه الآراء ·

فقد روي عن علي رضي الله عنه ان اسمه عبدالله بن الضحاك (٧) وقيل في رواية عن الزبير بن بكار عن ابن عباس ان اسمه : عبدالله بن الضحاك بن معد ، وقيل مصعب بن عبدالله بن قنان بن منصور بن عبدالله بن الأزد بن عوت (أو غوت) بن نبت بن ملك بن زبد بن كهلان بن سبأ بن قحطان (٨) ، وفي رواية أخرى تنسب الى محمد بن علي بن الحسين ان اسمه عياش (٩) ، وذكر احتمال آخر وهو

الصعب بن الهمال الحميري (١٠) ، وهذا ما ذهب اليه ابن ختيمة اذ قال انه الصعب بن جابر القلمس (١١) ، ولقد ورد اسم الصعب على أنه اسم لذي القرنين في خطبة لقس بن ساعدة الأيادي (١٢) : « يا معشر أياد أين الصعب ذو القرنين ، ملك الخافقين وأذل الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين » ٠

وأنشد ابن هشام للأعشى :

والصعب ذو القرنين أصبح تاويا
بالجنو في حدث أشم مقيما

وقال الشاعر أيضا :

فقد أذل الصعب صعب زمانه
وأناط قوة عزة بالفرق (١٣)

وهنالك ما رواه ابن اسحق حيث ينسبه الى احد الأعاجم ممن توارثوا من علم ذي القرنين ، ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مزربان بن مردية اليوناني من ولد يونان بن يافت بن نوح (١٤) ٠

وقيل ان اسمه هرمس (أو هرديس) (١٥) وذهب آخرون الى أنه أفريدون الذي قتل بيوراسب بن اروندا سب الملك الطاغي على عهد ابراهيم عليه السلام (١٥)، كذلك قيل أنه ابو بكر بن سمى بن عمير بن افريقس (١٦) وروي أنه اطركس الذي خرج على ساميرس أحد ملوك بابل وحاربه حتى ظفر به وقتله وسلخ رأسه مع شعره وذوابتيه ودبغ تلك الفروة وتكلل بها فلقب بذي القرنين (١٧) ٠

هذه اثنا عشر قولا ونيف بصدد اسم ذي القرنين ، وكلها لو تأملناها لوجدنا أنها الى الاسرائيليات أقرب وألصق ، وكلها تعتمد على القصص والخيالات ٠ وقد صدرت من أصحابها كآراء شخصية ، وترجيح واستخراج المعاني بتغيير الحروف عن أماكنها الاصلية ، وبمعنى آخر تدوير المعنى على أساس أصل الكلمة واشتقاقاتها الصرفية ، وهذا كما ترى لا يمت للطريقة العلمية بصلة ، وهو الى التخرصات أقرب وخاصة أولئك الذين أعطوا لذي القرنين أسماء عربية اسلامية ، خاصة صيغة (عبدالله) أو أولئك الذين أوردوا شعرا للاستشهاد به ، علما أن الشعر العربي بهذا المستوى لم يكن معروفا عند تبابعة اليمن وأذوائها (١٨) ٠

أما المجموعة الثانية فترى انه الاسكندر المقدوني الكبير وتضم هذه المجموعة الامام عبد الملك بن هشام راوي السيرة (١٩) والفخري الرازي (٢٠) ، وابن

الأثير (٢١) ، والمسعودي (٢٢) ، والمراغـي (٢٣) ، والقاسمـي (٢٤) ، وجرجي زيدان (٢٥) ، وفرانز روزنتال (٢٦) ، والسخاوي (٢٧) ٠

هذه المجموعة تضم تسعة من الكتاب في ميدانـي التفسير والتاريخ ترى انه الاسكندر المقدوني، ونظرا لأن الموضوع هذا يكاد يكون مسلما به في أوساط المتعلمين والمحدثين العرب ٠ فسوف نعقد له فصلا خاصا نبين فيه بطلان هـذا الرأي ان شاء اللـــه ٠

والمجموعة الثالثة والأخيرة ، وهـي المجموعة التـــي تصف نفسها بالعلمية والدقة ٠ فقد توصل العالم الهندي شبلي النعماني ان ذا القرنين هو دارا الكبير ملك فارس في القرن الخامس قبل الميلاد ، ورجح الهندي العالم ابو الكلام أزاد أنه كورش الملك الاخميني في القرن السادس قبل الميلاد (٢٨) ، وهو نفس مـا توصل اليه البروفسور B. Grundi في مقالته العلمية ٠

ولا أحسبني في حاجة الى دحض ما توصل اليه العالم الهندي شبلي النعماني من أن ذا القرنين هو دارا ٠ لأن هذا الملك يدين بالديانة الزرادشتية التي ترى ان للكون الهين ، الـه للخير (أهورامزدا) وآخر لـك (اهريمان) ، كذلك تاريـخ وسيرة دارا المعروفة عنه تخالف ما ورد في القرآن عن ذي القرنين ٠

أما الاستاذ أبو الكلام أزاد ، فيقـول في في معرض كلامـه عن ذي القرنين في كتابه الموسوم بالترجمان ما نصه : (٢٩) « ظهر سائرس Syrns (كورش) في سنة ٥٥٩ ق٠م ، وقد جمع بين مملكتين فارسيتين عظيمتين ، كانتا قد انفصلتا منذ زمـان ، وهمـا (ميديا) في الجـزء الشمالي الـذي يعبر عنـه المؤرخون العرب بـ (ماهان) ، وفارس الجزء الجنوبي ، فكون منها امبراطورية فارسية عظيمة ، ثم امتدت فتوحه ومغامراته التـي اتسمت بالعـدل والكرم ، والانتصار للضعيف المظلوم ، فلم ينقض اثنا عشر عامـا حتى خضعت لـه البلاد والدول مـا بين البحر الاسود الى بكتيريا ، وقد ثبت تاريخيا انه غزا الغرب مرة ، فأوغل فيه الى غرب آسيا ، وفتح دولة ليديا ، التي كانت عاصمتها ساروس » ٠ ويشير أبو الكلام أزاد الى أنه وجد في سنة ١٨٣٨ م تمثال من رخام في أنقاض اصطخر Passargada ظهر في رأسه قرنان مثل قرني اكليش يمثلان مملكتي ميديـا وفارس اللتين جمع بينهما كورش (٣٠) ٠

هذا ما توصل له العالم ابو الكلام أزاد الذي حاول أن يبدو بحثه علميا ، لكنه بعيد جدا عن العلمية ، لأنه واضح محاولة أبو الكلام أزاد التوفيق بين مـا ورد في القرآن عن ذي القرنين وبين قصة حياة الملك الاخنيني كورش ، ويعجبني هنا ما قاله الاستاذ عزة دروزه في رده علـى شبلي النعماني وأبو الكلام أزاد حيث قـال ما نصه : (٣١) « وكلاهما لا يصل في رأيي الى مبلغ الاقناع ، وانه يدور على الأكثر في نطاق التأويل والتخريج والتخمين والتوفيق » ٠

أما بشأن ما عثر عليه العلماء من تمثال يحمل قرنين ، فهذا ليس بغريب أو جديد ٠ اذ ان اسم (ذو القرنين) يحمله أكثر من شخص ويجوز أن كورش كان من ضمن الذين تلقبوا بذي القرنين ، ومن ثم فان قرني كورش ـ اذا صح هذا ـ ترمز الى وحدة اقليمين ، فهل سبب تسمية الوارد ذكره في القرآن الكريم بذي القرنين ترجع الـى هذا السبب ؟ ونحـن لا نستبعد ان أبو الكـلام أزاد تأثـر بقصص الاسرائيليين الذين يزعمون ان ذا القرنين هو كورش وعدوه المنقذ والمخلص لهم ، وهو نفس ما فعلوه للاسكندر المقدوني اذ اعتبروه ولقبوه بذي القرنين ، ناشدين من وراء ذلـك تعاطف هذين الملكين معهم ابان السبي البابلـي ٠ واعتقادهم هذا مسجل في سفر دانيال من أسفار العهد القديم على شكل رؤيا ٠ وكـان دانيال هذا معاصرا لبختنصر وتعرض للسبي مع اليهود الى بابل ، تقول هذه الرؤيا أن كبشا ذا قرنين ينطح بهما غربا وشمالا وجنوبـا فلم يقف حيوان أمامه ، واذا بتيس من المعز جاء من المغرب له قرن واحد بين عينيه تقدم الى الكبش وضربه وكسر قرنيه وان جبريل فسر له ـ أي لدانيال ـ رؤياه بأمر الله ـ في الرؤيا أيضا ـ بأن الكبش هو ملك فارس وميديا ، وان التيس هو ملك اليونان (٣٢) ٠

أما آخر المجموعات ، فهو لبعض الكتاب العرب المحدثين وعلى رأسهم الاستاذ معروف الدواليبي ويرون أن ذا القرنين هو الملـك المصعب بن الحارث مـن ملوك حمير ، الذي يروى عنه توغل في الفتح في افريقية حتى بلغ أقصاها ، وعبر منها الى جزيرة الأندلس وبين فيها المنارات في بحر الظلمات (٣٣) ٠

وهذا الرأي ليس ببعيد أو غريب اذا عرفنـا أن عرب الجنوب يتسمون بهذا النوع من الاسم ، فنجد ذا نواس ، وذا المنار ، وذا الأذعار ، وذا الشناتر ، وذا جدن، وذ ايزن ، وهو ما استأنس اليه أبو الريحان البيروني (٣٤) ٠

واكتفي بهذا القدر ، وفي العدد القادم ان شاء الله أكمل بقية الدراسة ٠ كما أطالع القارىء بسرد لأهم المصادر والمراجع التـي رجعت اليهـا في هذه الدراسة في آخر حلقة ٠ والله من وراء القصد ٠

عبدالله بن ابراهيم العسكر

الهوامش والمصادر

(١) روزنتال ٠٠ علم التاريخ عن المسلمين ، ترجمة صالح العلي ، ص ٤١ ٠

(٢) السيوطي : الباب المنقول في أسباب النزول ، ص ١٤٤ ٠

(٣) السيوطي : ص ١٤٤ ٠

(٤) الندوي : الصراع بين المادة والايمان ، ص ١٤٢ ٠

(٥) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٤٥ ٠

(٦) عثر على هذه النسخة من التوراة الاصلية في قادوس (اناء) من الفخار في احدى الكهوف القريبة من البحر الميت ٠ وقد صدرت دراسات عن هذه النسخة احداها تحت عنوان ـ لفائف البحر الميت The Dead Sea Scralls اخرجته شركة منتور للنشر Manttor Books والاخرى نشرت النصوص بالعبرية وترجمتها بالانجليزية في ثلاثة أجزاء وهذان الكتابان لم يترجما الى العربية بعد ، مع فائدتهما الكبيرة وأثرهما في قضايانا الاسلامية بصورة عامة ٠

(٧) زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجذري ، ص ١٨٣ ٠

(٨) التفسير لابن كثير ، ص ١٠٦ ٠

(٩) ابن الجوزي ، ص ١٨٣ ٠

(١٠) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، لأبي الريحان البيروني ، ص ٤٠ ٠

(١١) ابن الجوزي : ١٨٣ ٠

(١٢) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ص ١٠٥ ٠

(١٣) ابن كثير : التفسير ، ص ١٠٥ .

(١٤) القرطبي ، ص ٤٥ .

(١٥) تفسير القرطبي : ١٤ .

(١٥) تفسير القرطبي ، ص ٤٧ .

(١٦) ابو حيان البيروني : ١٥٨ .

(١٧) نفسه : ٢٤ .

(١٨) دليل المستفيد عن كل مستحدث جديد ، عبد العزيز آل خلف ، ص ١٠٥ .

(١٩) ـ (٢٧) انظر هذه الاقوال في الكتب الثانية على الترتيب :
ابن هشام : ١٠٩ ، الفخري الرازي : ١٦٣ ، ابن الأثير : ٢٨٢ ، المسعودي : ٤١٤ ، المراغي : ١٣ ، القاسمي : ٤٩٩ ، جرجي زيدان : ٣٤ ، فرانز روزنشال : ١٦٠ ، السخاوي : ١٤٤ .

(٢٨) + (٢٩) ـ محمد عزة ، دروزة : ٤٧ .

(٣٠) للتوسع في هذا الموضوع ، انظر المجلد الثامن من
Universal History of the World

(٣١) محمد عزة ، دروزة : ٤٧ .

(٣٢) محمد عزة دروزة : ٤٧ .

(٣٣) جاء هذا الرأي في كتاب التيجان في معرفة الزمان المنسوب الى وهب ابن المنبه اليماني ، انظر كتاب دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضارتهم الانسانية لمعروف الدواليبي، ص ٢٤

(٣٤) أبو الريحان البيروني : ٤١ .

ذو القرنين بين الخبر القرآني والواقع التاريخي

بقلم : عبدالله بن ابراهيم العسكر

« الحلقة الثانية »

في العدد الماضي ، كنا قد ارجانا بحث المجموعة الثانية ، والمتعلقة براي تسعة كتاب في شخصية ذي القرنين ، وانهم يرون انه الاسكندر المقدوني ، وكان ابن هشام اول من اعتنق هذا الراي ولقد انكر عليه ذلك ورده الحافظ ابو القاسم السهيلي (١) • اما المسعودي فاكد راي ابن هشام ، واستدل برسالة معفورة على باب الاسكندرية ـ المعروف ان بانيها الاسكندر المقدوني ـ جاء فيها « ••• اردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور والثبات في الدهور ، فلم ير الباري عز وجل ملك السموات والارض ومغني الأمم ان ابنها كذلك • فبنيتها واحكمت بنيانها ، وشيدت سورها ، واتاني الله من كل شيء علما وحكما وسهل لي الاسباب ، فلم يتعذر علي شيء في العالم اردته ولا امتنع شيء مما طلبته ، لطفا من الله عز وجل وصلاحا لي ولعباده من اهل عصري ، والحمد لله رب العالمين لا اله الا الله رب كل شيء » (٢) • اما المراغي فقد استدل على كونه الاسكندر المقدوني من ان التاريخ لم يعرف فاتحا يطابق اخبار ذي القرنين كالاسكندر (٣) • واشد المتحمسين من المفسرين في هذا المضمار القاسمي •

وأنقل هنا بالنص محاولته لاثبات أن ذا القرنين هو الاسكندر يقول في كتابه (محاسن التأويل) : (·· لقد أصبح ذلك من الأوليات ـ أي انه الاسكندر المقدوني ـ عند علماء الجغرافيا وأما دعوى انه كان مشركا يعبد الاصنام ، وان قومه وثنيين وانه تلميذ أرسطو· فقد جاء في ترجمته ـ كما في طبقات الأمم وغيرها ـ انه كان لا يعظم الاصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت وانه بسبب ذلك نسب الى الكفر ، وأريد السعاية به الى الملك ، فلما أحس بذلك شخص عن أثينا ، لأنه كره أن يبتلي أهلها بمثل ما ابتلوا به سقراط معلم أفلاطون فانه كان من عبادهم ومتألهيهم ، وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الاصنام وقابل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بطلان عبادتها ، فثوروا عليه العامة ، واضطروا الملك الى سجنه ، ليكفهم عنه، ثم لم يرض المشركون الا بقتله فسقاه السم خوفا من شرهم ، بعد مناظرات طويلة جرت له معهم ، فالوثنية وان كانت دين اليونانيين واعتقاد شعبهم ، الا انه لا ينافي أن يكون الملك وخاصته على اعتقاد آخر يجاهرون به أو يكتمونه ، وهكذا كان الاسكندر وأستاذه والحكماء قبله ، فان المعن في تراجمهم يرى انهم على توحيد وايمان بالمعاد · قال القاضي صاعد : كان فيثاغورس ـ أستاذ سقراط ـ يقول ببقاء النفس ، وكونها فيما بعد في ثواب وعقاب على رأي الحكماء الالهيين) (٤) ·

ولقد تابع القاسمي كلامه ، ثم أخذ في رد قول بعضهم ، ان في كون الاسكندر المقدوني هو ذي القرنين ، اشكالا قويا ، وهو انه كان تلميذ أرسطو الحكيم وكان على مذهبه ، فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بأن مذهب أرسطو حق وصدق ، وذلك مما لا سبيل اليه ويوجب الوقوف عنده ، فان القاسمي رد بقوله « ··· فان من كان تابعا لمذهب فمدح لأمر ما يوجب مدحه لأجله ، فلا يلزم أن يكون المدح لأجل مذهبه ومتبوعه ، اذ قد يقوم فيه من الخلال والمزايا ما لا يوجد في متبوعه ، وقد يبدو له من الانظار الصحيحة فلا يكون في مذهبه الذي نشأ عليه مقلدا · أفلا يمكن أن يكون حرا في فكره ينبذ التقليد الاعمى ويعتنق الحق ، ومن أتاه الله من الملك ما أتاه ، أفيمتنع أن يؤتيه من تنور الفكر وحرية الضمير ، ونفوذ البصيرة ما يخالف به متبوعه ؟ هذا على فرض أن متبوعه مذموم ، وقد عرفت أن متبوعه أرسطو كان موحدا · وهو معروف في التاريخ لا ستر فيه ، على انه لو استلزمت الآية مدح مذهب أستاذه لكان ذلك في الاصول التي هي المقصودة بالذات ، وكفى بها كمالا (٥)

ونحن لا ننكر على المسعودي والقاسمي أن اعتقادهم هذا كان شائعا ، ومعتقدا به ، حتى ان ابن كثير لما نوه عن رأيه في هذا الموضوع ، وانه يخالف رأي القائلين ان ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني أردف قائلا (٠٠ انما نبهنا عليه لأن كثيرا من الناس من يعتقد أنهما واحد ، وان المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطو وزيره ، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير ، فان الاول كان عبد مؤمن صالح وملك عادل وكان وزيره الخضر ، وأما الثاني فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفا ، وقد كان بين زمانيهما أكثر من ألفي سنة) (٦) ٠

وانني أعتقد أن هذا سبب الخلط بين الشخصيتين التشابه الذي يغلف أعمالهم وخاصة الفتوحات والاعمال العسكرية ولكن لا نعدم الاختلاف بينهما ٠ ودليل المسعودي الذي أوردته سالفا ضعيف واهن بل هو خبر اسرائيلي كعادة المسعودي في نقل أخباره ٠ وكذلك بالنسبة للقاسمي فانه حاول أن يثبت رأيه بالتطرق الى أرسطو وفيثاغورس وفلسفتها في النفس والالهة والروح وهي محاولة فاشلة ينقصها التدقيق والفحص والتثبت ٠

وشيء آخر فان التاريخ يعرف ملكا اسمه الاسكندر ذو القرنين ، ومن المقطوع به انه ليس ذا القرنين المذكور في القرآن (٧) ٠

كذلك يرى الدنيوري انه الاسكندر المقدوني بل ويزيد انه نشر الايمان في مجتمع اثينا الوثني (٨) وهذه مغالطة واضحة لا داعي للرد عليها ٠

أما أوجه الشبه بينهما والتي دعت بعض المؤرخين والمفسرين الى الاعتقاد أنهما شخصية واحدة ، فهي قيام كل منهما برحلات وفتوحات ٠ بل أن الاسكندر المقدوني ـ وهذا ثابت تاريخيا ـ وصل سيوه والى عاصمة الأخمنيين ـ برسيبلوس ـ وكذلك قيام كل منهما بتشييد المدن ، ونحن لا ننكر أن الاسكندر المقدوني كان في بعض تصرفاته سمحا كريما طيبا ، يحب الخير لبلاده ووحدة المدن اليونانية ضد الخطر الفارسي ، نلمس طيبة أخلاقه من خطاب له في الجيش عندما أحس بثورة داخلية وعصيان يسري بين أفراد الجند حيث قال (٠٠ لكم جميعا ما ربحت ، لكم سورية ومصر والعراق أيها الاصحاب أنتم المرازبة أيها القواد ، ماذا تركت لنفسي ـ لقد حرمت نفسي النوم لأدعكم تنامون ، أروني جراحكم لأريكم جراحي ، من شاء منكم الانصراف فلينصرف ، اذهبوا جميعا) (٩) ٠

وهذه الطيبـــة ليست ديدنا لـه ، فمـا أكثر تصرفاته التـي يبدو فيهـا ذا خنزوانة (١٠) ، من ذلك انه دمر عاصمة العدو ، برسيبوليس بلا سبب ، كذلك قتله لوالد أحد القواد لأن القائد عاص ـ مع براءة هذا الأب ومع كونه صديقا له ، لقد كان الاسكندر المقدوني يتصرف بأية وسيلة ليصل الى غايته ، ولم يكن يردعه أخلاق أو وازع من ضمير من تلك المبادىء التي تعلمها من أستاذه أرسطو ، بل قيل انه لم يكن يحب الفلسفة أو التحدث الى الفلاسفة الا عند تعاطي الخمرة • أما دعوى انه مؤمن وموحد فهذه باطلة أساسا ، لأن كل تصرفات الاسكندر تخالف مبدأ الايمان ، بل المشهور عنه ادعاءه أن أصله الهي ـ وادعى كذلك انه سليل هركول واشيل كما عد نفسه ابنا لديونيزوس وأمون ، كما طلب من الجميع السجود له ، وأجبر كهنة أمون أن يعلنوا أمام الملأ انه ابن الرب (١١) •

ويبدو ان هذه التصرفات التي كانت بمثابة الدعاية له ، والوسيلة لتحقيق أغراضه الشخصية وطموحه ونزواته كانت وراء اعتقاد بعض المؤرخين والمفسرين ان ذا القرنين الوارد اسمه في القرآن هو الاسكندر المقدوني •

اذن لا مجال اطلاقا الى الاعتقاد بأن شخصية ذي القرنين تطابق الاسكندر •

ولعل ما كتبه وهب بن المنبـه اليماني مـن أن ذا القرنين هو الملك المصعب بن الحارث هو ما استأنس اليه لأسباب منها :

١ ـ تطابق الاسم ، وخاصة ان استعمال (ذو) في لغة عرب الجنوب شائعة •

٢ ـ لم يتوفر لدينا تاريخ مفصل يحكي حياة الملك المصعب بن الحارث يخالف ما ورد في القرآن •

وسيبقى هذا الرأي هو أقرب الى الحقيقة حتى يثبت عن المصعب ما يخالف الخبر القرآني • وهذا ما ارتآه معروف الدواليبي (١٢) •

ولعل سائل يسأل لماذا التردد والحذر في الجزم بشيء من هذا القبيل ، وأبادر فأقول أن الخبر القرآني هو الأصدق دائما لأنه منزه عن كل خطأ ولن أجزم بشيء

حتى أتيقن كثيرا • ومحاولتي هـذه لا تعـدو أن تكون جمـع معلومات وتبويبها وتصنيفها من كتب مختلفة ومتفرقة لتكون جاهزة لكل باحث في هذا الموضوع الطويل سلمه ، العميق منبعه ، الصعب مرتقاه ، والله من وراء القصد •

زمان ذو القرنين :

وكما اختلف المؤرخون والمفسرون في اسم ذي القرنين اختلفوا كثيرا في زمنه• لأن الآيات القرآنية لم تحدد زمانه ، ودعونا نستعرض أزمنة بعض الشخصيات التي اعتقد القوم انها ذي القرنين ، فمنهم من جزم انـه الاسكندر المقدوني الذي توفي سنة ٣٢٣ ق•م ، وعمره لا يتجاوز ٣٣ سنة • ومنهم من رأى أنه الملك كورش الذي توفي سنة ٥٢٨ ق•م ، ومن اعتبره دارا الكبير الذي توفي سنة ٤٨٦ ق•م •

كذلك روي عن علي كرم الله وجهه ، أن ذا القرنين من أهل القرن الاول من ولد يافث بن نوح ، وعن الحسن ابنه ـ انه كان بعد ثمود وكان عمره ١٦٠٠ سنة اما عن وهب فقد روي عنه انه كان في الفترة بين عيسى ومحمد (ص) (١٣) •

وقيل انه كان بعد داود عليه السلام ب ٧٤ سنة ، وكانت الفترة التي بينه وبين ابيه آدم عليه السلام ٥١٨١ سنة (١٤) وقيل انه احد ملوك بابل (١٥) •

والملاحظ على هذه الاقوال في تحديد زمان ذي القرنين ، انما يحاول أن يوفق بين تحديد الزمان وبين الاسم الذي يأخذ به •

كما انتقل الخلاف ايضا الى معرفة عمره الزمني ونستطيع أن نصنف الآراء التي قيلت في هذا الشأن الى قسمين :

١ ـ بعضهم أخذتهم عظم فتوحاته وبعد المسافة ، وصعوبة الترحال والمشقة ، وان ذلك لا يتيسر الا لمن أعطي عمرا طويلا •

٢ ـ وبعضهم رأى أن الله سبحانه وتعالى يسر له الزمان ، كما يسر له من كل شيء سببا ، فيقولون بعمر اقل من الاول •

فقد روي عن الحسن انه قال ان عمره ١٦٠٠ سنة (١٦) . كما ذكر بعض أهل الكتاب انه مكث الفا وستمائة سنة يجوب الارض ، ويدعو أهلها الى عبادة الله وحده لا شريك له (١٧) . وقيل ان عمره ثلاث آلاف سنة وهذا أمر غريب (١٨) وقيل انه عاش ٣٦ سنة ، وقيل ٣٢ سنة (١٩) .

أما محمد عزة دروزه فيرى ان الآيات القرآنية الواردة بشأن ذي القرنين قد توحي أن زمانه في عصر النبي (ص) (٢٠) .

سبب تسميته بذي القرنين :

وكانوا ينحون في تعليلاتهم عن سبب تسميته بذي القرنين عدة مناحي منها : الاشتقاق اللغوي ، الاستشهاد القصصي ، الدافع الديني ، وأخيرا التصرف الذاتي .

ولقد أورد الامام ابو الفرج ابن الجوزي عدة أقوال في سبب تسميته بذي القرنين نلخصها فيما يأتي (٢١) :

١ ـ انه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فهلك ، ثم بعثه الله فدعاهم مرة اخرى فضربوه على قرنه الاخر فهلك .

٢ ـ لأنه كان له ذؤابتين من ذهب .

٣ ـ لأنه سافر الى مطلع الشمس ومغربها .

٤ ـ لأن صفحتي رأسه من نحاس .

٥ ـ لأنه رأى في المنام كأنه امتد من الارض الى السماء وأخذ بقرني الشمس فقص رؤياه على قومه ، فسموه بذي القرنين .

٦ ـ لأنه ملك الروم والفرس ٠

٧ ـ لأنه كان في رأسه شبه القرنين ٠

٨ ـ لأنه كان لـه غديرتان مـن شعر ٠ قـال ابن الانباري والعـرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين ، وجميرتين ، وقرنين ٠ قال الشاعر :

فلثمـت فاهـا آخـذا بقرونها شرب النزيف ببردمـاء الحشرج

٩ ـ لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف ٠

١٠ ـ لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي ٠

١١ ـ لأنه سلك الظلمة والنور ٠

١٢ ـ لأنه يلبس تاجا بقرنين ٠

عبدالله بن ابراهيم العسكر

الهوامش والمصادر

(١) ابن كثير : ١٠٩ .

(٢) المسعودي : ٤١٤ .

(٣) تفسير المراغي : ١٣ .

(٤) تفسير القاسمي : ٤١٠٧ ، ٤١٠٨ .

(٥) تفسير القاسمي : ٤١٠٧ ـ ٤١٠٨ .

(٦) ابن كثير : ١٠٦ .

(٧) سيد قطب : ٨ .

(٨) الدنيوري : ٣١ .

(٩) اميل لودفيغ : ٢٠٧ .

(١٠) خزوانه : جنون العظمة .

(١١) انظر بالتفصيل سيرة الاسكندر المقدوني في كتاب اميل لوديفغ .

(١٢) الدواليبي : ٢٤ .

(١٣) ابو حيان : ١٥٨ ، انظر ايضا ابن الجوزي : ١٨٤ .

(١٤) ابن كثير : ١٠٩ .

(١٥) ابو الريحان البيروني : ١٥ ، انظر ايضا المسعودي : ٣١٩ .

(١٦) ابو حيان : ١٥٨ .

(١٧) ابن كثير : ١٠٧ .

(١٨) ابن كثير : ١٠٩ .

(١٩) ابن كثير : ١٠٩ .

(٢٠) محمد عزة دروزه : ٤٣ .

(٢١) ابن الجوزي : ١٨٤ . لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع انظر المسعودي : ٣١٩ . ابن كثير : ١٠٣ . القرطبي : ٤٧ ، الفخري الرازي : ١٨٤ . الخوارزمي : ٤١ .